

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه -: "في كُلّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ" وحديث البغي التي سقت الكلب فغفر الله لها

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا هو الحديث العاشر من الأحاديث الدالة على كثرة طرق الخير، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث...))^(١)، ومعنى يلهث أي: أنه يخرج لسانه - يحرك لسانه - من شدة العطش، ومثل هذا لا يكون عادة إلا في الكلب، يقول: ((فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش))، والثرى هو التراب الذي فيه رطوبة، وهو من شدة عطشه يريد أن يبرد حر العطش بأكل هذا التراب الرطب.

((قال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني))، ويحتمل أن يكون: لقد بلغ هذا الكلب من العطش، يعني: العطش هو الذي بلغ منه، العطش هو الفاعل.

يقول: ((فنزل البئر فملا خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغر له))، وفي بعض الروايات: ((أنه سقاوه حتى ارتوى حتى ذهب عنه العطش -، فشكر الله له))، إذا ضبطت هكذا يكون الذي صدر منه الشكر هو هذا الكلب، والله - عز وجل - يجعل لهذه البهائم من الإدراكات ما لا يخفي، وقد يكون بالحال، والمشهور "شكر الله له"، أي: أن الله - تبارك وتعالى - شكور لعباده، أي: أنه يجزي بالإحسان إحساناً، ويوفي عمل العاملين، ويضاعف ذلك، فهذا من شكره - تبارك وتعالى - للعبد.

قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجراً؟، معناها: أنهم كانوا يتتصورون أن الأجر والخير هو بالإحسان إلى الناس فقال: ((في كل كبد رطبة أجر))، الجواب أعم من السؤال، فيدخل فيه الإنسان وغير الإنسان من الكائنات الحية، الكبد الرطبة يقال ذلك للحي، لأن الإنسان إذا مات جفت أعضاؤه، جفت كبده، وما أشبه ذلك، ((في كل كبد رطبة أجر))، فيدخل في ذلك جميع أنواع الحيوان، ويدخل في ذلك الإنسان المسلم والكافر والصالح وغير الصالح، ولذلك قال الله - عز وجل -: **﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَاهُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢٧٢]، فكثير من أهل العلم يقولون: إنها نزلت حينما تلقيوا وتوقفوا وتحرجوا من دفع الصدقات لغير المسلمين، إما رجاء إسلامهم، أو لأنهم لا يستحقون في نظرهم، فقال الله - عز وجل -: **﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَاهُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾**، لا تمنعهم الصدقة من أجل ما هم عليه من الكفر، ولكن الله يهدي من يشاء،

^١ - أخرجه البخاري، كتاب المسافة، باب فضل سقي الماء، (١١١/٣) رقم: (٢٣٦٣)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، (١٧٦١/٤) رقم: (٢٢٤٤).

[وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُفسِّدُونَ إِلَّا بِتِغَاءٍ وَجْهَ اللَّهِ]، أنتم تتفقون لأنفسكم، تحسنون لأنفسكم، ولا شك أن بذلك المعروف إذا كان ذلك لا يسع الجميع أن بذلك للأصلاح أولى، وأن بذلك للأحوج أولى من كانت حاجته دون ذلك، وأن بذلك للقريب أولى من بذلك للبعيد وهكذا، بهذه مراتب، ولا شك أن القريب مقدم على غيره، ومن كان أكثر حاجة أو أكثر صلاحاً أو نحو ذلك، والمقصود هنا في هذا الحديث أن هذا الحديث وإن الإحسان كان لكلب، فهو حيوان بهيم، ثم هو أيضاً معروفة بصفات لا تحسن ولا تجمل، صفات مذمومة، فالكلب من أحط الحيوانات، ولهذا قال الشافعي -رحمه الله-:

تموت الأسد في الغابات جوعاً** ولحم الضأن يرمى للكلاب

يعني: مع خسته وانحطاط مرتبته يرمى له لحم الضأن، والأسد تموت في الغابات جوعاً، وكما قال الآخر:
قد يكرم القرد إعجاباً بخسته** وقد يهان لفرط النخوة الأسد

الأسد إذا علم به الناس أنه قريب أو لاح لهم أو لبعضهم هرعوا يطربونه ويزجرونه غاية الزجر ويريدون قتله، وأما القرد فيعطي الموز ويجتمعون يتفرجون عليه، وينبذلون الأموال من أجل مشاهدته، ويضحكون معه ويقتربون منه، والأسد يصنع به ما سمعتم.

فالملصود أن هذا الإحسان وقع للكلب، وهو من أحط الحيوانات، ومع ذلك الله -عز وجل- غفر لهذا الإنسان، فكيف إذا كان الإحسان لحيوان أحسن من الكلب وأنفع مثل الجمل والضأن والبقر وما أشبه ذلك من بهيمة الأنعام أو غيرها؟ فكيف إذا كان ذلك للإنسان؟.

فهذا الحديث يرشد إلى معانٍ كثيرة في البذل والإحسان والمعروف، فمع أنه ورد حديث في الأمر بقتل الكلب، ثم بعد ذلك أيضاً نهاهم -صلى الله عليه وسلم- عن قتلها، وكان المانع من ذلك ما جاء في بعض الأحاديث أنها أمّة من الأمم، ((الولا أن الكلب أمّة من الأمم))^(٢)، ولكنه -صلى الله عليه وسلم- أمر بقتل الكلب العقول، وقال: ((الكلب الأسود شيطان))^(٣)، ونكر الفوائق التي تقتل في الحل والحرم، ونكر منها الكلب العقول، فهذا قد يكون كلباً عوراً، وقد يكون أسود بهيمًا، ومع ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أن هذا الرجل غفر له لما قدم هذا المعروف، وهذا المعروف قليل، سقى هذا الكلب من البئر، وهو لم يخسر شيئاً إطلاقاً، لم يستتر الماء، فأقول: الإنسان لا يحرق من المعروف شيئاً، ولو كان شيئاً يسيراً، ولو كان هذا المعروف يقدّم لإنسان في نظرك أنه مقصّر، وأنه قد لا يستحق هذا المعروف أو نحو ذلك، فإن الله -عز وجل- يكتب ذلك فلا يضيع، **[وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُفسِّدُونَ]** [البقرة: ٢٧٢].

في رواية عند البخاري: ((فشكّر الله له فغفر له فأدخله الجنة))، وهي قضايا بينها نوع تلازم، إذا غفر الله للإنسان فإنه يدخل الجنة بإذن الله -عز وجل-، فذكر المغفرة، ونكر دخول الجنة في سقي كلب، فكيف بمن سقى أمّة؟!، كيف بمن حفر بئراً لقرية لا يجدون الماء مثلاً، أو أجرى نهرأً، أو أجرى عيناً، أو نحو ذلك،

^٢- أخرجه الترمذى فى سننه، أبواب الاطعمة، باب ما جاء فى قتل الكلب، (٤/٧٨)، رقم: (١٤٨٦)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢/٩٤٠)، رقم: (٥٣٢١).

^٣- أخرجه ابن حبان فى صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يكره للمصلى وما لا يكره، وصححه الألبانى فى التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤/١٥٩)، رقم: (٢٣٧٦).

وضع برادة لل المسلمين يشربون منها؟!، ولعلم قرأتم في ترجمة الحكم النيسابوري رحمة الله - صاحب المستتر أَنَّهُ أَصْبَبَ بِقَرْوَحٍ فِي وَجْهِهِ، فَتَعَبَ وَهُوَ يَعْالِجُهَا، فَكَتَبَ رِسَالَةً وَدَفَعَهَا فِي مَجْلِسِ شِيخِهِ أَبِيهِ عُثْمَانَ الصَّابُونِي رَحْمَةِ اللهِ -، كَانَ الْمَجْلِسُ حَاشِدًا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقَرَأَتِ الرِّسَالَةُ، يَطْلُبُ فِيهَا الدُّعَاءَ وَالتَّأْمِينَ أَنَّ اللَّهَ يُشْفِيهِ، فَقَرَأَتِ الرِّسَالَةُ وَدَعَا لَهُ أَبُوهُ عُثْمَانَ الصَّابُونِي رَحْمَةِ اللهِ - وَجَلَسَ النَّاسُ يُؤْمِنُونَ، فَرَجَعَتِ امْرَأَةٌ إِلَى بَيْتِهَا وَهِيَ مَهْمُومَةٌ وَمَشْغُولَةٌ بِأَمْرِ هَذَا الْإِمَامِ الْعَالَمِ - أَعْنِي الْحَكَمَ الْنِيَّاْبُورِيَ رَحْمَةِ اللهِ -، فَلَمَّا نَامَتِ رَأَتِ النَّبِيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَأْمُرُهَا أَنْ تَقُولَ لِأَبِيهِ عَبْدَ اللهِ الْحَكَمَ الْنِيَّاْبُورِيَ أَنْ يَتَصَدِّقَ بِالْمَاءِ، أَنْ يَبْذِلَ الْمَاءَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَوَضَعَ حَوْضًا عَنْدَ بَيْتِهِ وَأَقْبَلَ فِيهِ التَّلْجُ، وَجَعَلَ النَّاسَ يُشْرِبُونَ، فَبَرِئَ.

وَالرَّجُلُ الْآخَرُ الَّذِي جَاءَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمَبَارِكِ رَحْمَةِ اللهِ - يَشْكُوُ قَرْحَةً أَصَابَتْهُ فَتَعَبُ فِي عَلاَجِهَا، وَسَأَلَ الْأَطْبَاءِ، وَمَا وَجَدَ لَهَا شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمَبَارِكِ رَحْمَةِ اللهِ - احْفِرْ بَئْرًا، أَوْ أَجْرِ عِينًا، أَوْ تَصْدِقْ بِالْمَاءِ، عَلَيْكَ بِصَدَقَةِ الْمَاءِ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرِئَ فِي أَسْبَوْعٍ، وَكَنْتُ نَكْرِتُ هَذَا فِي بَعْضِ الْمَنَاسِبَاتِ تَعْلِيقًا عَلَى بَعْضِ الْآيَاتِ فِي رَمَضَانَ الْمَاضِيِّ، فَأَلْقَى إِلَيْيَ رَجُلٌ وَرْقَةً وَظَنَنَتْ أَنَّهَا سُؤَالٌ وَمَا قَرَأْتُهَا، فَتَبَعَنِي عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: أَلْقَيْتَ إِلَيْكَ وَرْقَةً وَقَعَ لَيْ فِيهَا مِثْلُ هَذَا، فَذَكَرَ لِي مَا وَقَعَ لَهُ مَعَ أَبِيهِ وَهُمْ مِنْ بَلَادِ الشَّامِ، يَقُولُ: عَنْدَنَا مَرْضٌ نَادِرٌ، أَظُنُّهَا حَمَى حَوْضِ الْبَحْرِ الْأَبِيْضِ الْمُوْسَطِ، وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَقْعِيْدَ لَوْاْحِدِ مِنْ مَلِيُّونِيْنِ مِنِ النَّاسِ، فَالْحَاصِلُ أَنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ: وَقَعَ ذَلِكَ لِأَبِيِّي، فَكَانَ لَا يُسْتَطِيْعُ الْقِيَامَ، طَرَيْحَ الْفَرَاشِ، يَقُولُ: فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى الطَّبِيبِ ثُمَّ أَرْجَعَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَذَهَبَتْ أَشْتَرِيَ الدَّوَاءَ، وَكَانَ غَالِيُّ الثَّمَنِ، يَقُولُ: بَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الصَّيْدِلِيَّةِ خَطَرَ فِي بَالِي أَنْ أَتَصْدِقَ بِهَا الْمَبْلَغُ، يَقُولُ: فَذَهَبَتْ وَتَصَدَّقَتْ بِهِ، يَقُولُ: فَلَمَّا رَجَعَتْ طَرَقَ الْبَابِ فَإِذَا الَّذِي يَفْتَحُ لَيْ هُوَ أَبِيِّي، مَا بِهِ عَلَةٌ، هَذِهِ حَكَايَاهَا لِي أَحَدُ الْإِخْرَانِ فِي الْمَسْجِدِ.

يَقُولُ: تَصَدَّقَتْ بِثَمَنِ الدَّوَاءِ، فَالصَّدَقَةُ تَدْفَعُ الْبَلَاءَ، تَدْفَعُ كَثِيرًا مِنِ الرِّزْيَا، وَالْمَصَابِ، وَيَرْفَعُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَ - بِهَا عَنِ الْإِنْسَانِ الْأَوْصَابَ وَالْآلَامَ، وَيَدْفَعُ عَنِ الْهَمُومِ وَالْغَمُومِ، وَيَحْصُلُ بِهَا مِنْ اِنْشَرَاحِ الصَّدْرِ مَا لَا يَقَدِّرُ قَدْرُهُ، وَهَذَا فِي كُلِّ الْإِحْسَانِ الْمُتَعَدِّيِّ، حَتَّى فِي أَقْلِ الْقَلِيلِ، اللهُ - عَزَّ وَجَلَ - لَمَّا قَالَ فِي أَدْبِ الْمَجَالِسِ: **إِيَّاهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ** [الْمَجَالِسُ: ١١]، هَذِهِ حَذْفُ الْمُتَعَلِّقِ لَمْ يَقُلْ: يَفْسَحُ لَكُمُ الْقَبْرُ، وَلَا قَالَ: يَفْسَحُ لَكُمُ فِي الْآخِرَةِ، فِي الْجَنَّةِ، فِي الدُّنْيَا، وَالْأَصْلُ أَنَّ ذَلِكَ يَحْمِلُ عَلَى الْعُوْمَمِ، فَيَفْسَحُ اللهُ لَكُمْ: يَحْصُلُ بِهِ اِنْشَرَاحُ الصَّدْرِ، وَيَفْسَحُ لِلْإِنْسَانِ فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ وَفِي آجِلِهِ، يَفْسَحُ لَهُ فِي الرِّزْقِ، يَفْسَحُ لَهُ فِي أَمْرِ كَثِيرٍ مَا يَرْجُوهُ وَيَؤْمِلُهُ، وَفِي الْآخِرَةِ، وَفِي قَبْرِهِ أَيْضًا، "يَفْسَحُ اللهُ لَكُمْ"، وَهَذَا أَمْرٌ مَشَاهِدٌ، الْإِنْسَانُ الَّذِي يَجْلِسُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، أَوْ فِي غَيْرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، حِينَمَا يَتَضَاعِيْدُ النَّاسُ، وَيَمْلِي بِكَتْفِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ لَا يَأْتِي أَحَدٌ، وَيَتَضَاعِيْدُ، وَيَتَخَاصِمُ مَعَ النَّاسِ إِذَا جَاءُوكُمْ بِجَانِبِهِ، يَضْيِقُ صَدْرَهُ جَدًا وَيَنْقُبُ، وَيَبْقَى طَيْلَةَ الْوَقْتِ فِي اِنْقَبَاضِ، وَإِذَا أَفْسَحَ لِلنَّاسِ وَجَدَ لَذَلِكَ أَثْرًا عَجِيْبًا مِنَ الْاِنْشَرَاحِ، جَرِّبْ هَذَا وَلَوْ مَرَّةً فِي حَيَاةِكَ، جَرِبُوا هَذَا، جَرِبُ فِي الزَّحَامِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَوْ فِي غَيْرِهِ، النَّاسُ يَتَرَاحَمُونَ وَيَبْحُثُونَ عَنِ الْأَمَكْنَةِ، اخْتَرْ لَكَ وَاحِدًا وَقَلْ لَهُ: تَعَالَ، اجْلِسْ، وَابْتَسِمْ بِوجْهِهِ، وَإِنْ حَصَلَ تُخْرُجْ لَهُ طَيْبًا وَتَطْبِيْهِ، وَتَطْبِيْنَ النَّاسَ الَّذِينَ هُمْ حَوْلَكَ، وَانْظَرْ كَيْفَ يَحْصُلُ لَكَ مِنَ الْاِنْشَرَاحِ، وَإِنْ قَلَتْ لَهُ: لَا تَجْلِسْ، انْظَرْ كَيْفَ يَحْصُلُ مِنَ الضَّيْقِ وَالْحَرْجِ.

فهذه أمور بسيطة، لكن نحن الذين نضيق على أنفسنا، ونسد أبواب الخير عننا، والجزاء من جنس العمل، فالحاصل أنه أدخله الله الجنة بسبب هذا العمل.

وفي رواية: ((بينما كلب يطيف بركيَّة...))^(٤)، والرَّكِيَّة هي البئر، وبعضهم يقول: البئر غير المطوية، قبل أن تُطوى يقال لها ركبة، ما بُنِيت جوانبها، ((قد كاد يقتله العطش))، كان يدور على البئر ما هو قادر أن ينزل إلى الماء، ((إذ رأته بغي من بغايابني إسرائيل)) البغي هي المرأة التي تزني بأجرة، ((ففزعَت مُوقها))، والمُوق: هو الخف، وبعضهم يقول: هو الذي يكون فوق الخف، يلبس فوق الخف أيضاً ويقال له: الجُرمُوق، فالحاصل أن هذه المرأة بغي زانية تزني بأجرة، يعني: مهنتها الزنى، فمن شأنها الزنى، ومع ذلك غفر لها بسقي كلب.

والخلاصة: لا تحقرن من المعروف شيئاً، لا نقل: هذا قليل، أدنى الأشياء قد تبلغ به، وقد يكون سبباً لدخولك الجنة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ما نكر هذه الواقع للتسلية لأصحابه، بل ذكرها للاعتبار من أجل أن الإنسان يمتثل ويطبق.

أسأل الله -عز وجل- أن يعيننا وإياكم على أنفسنا، وأن يدلنا على ما يرضيه، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.

^٤ - أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٤/١٧٣)، رقم: (٣٤٦٧)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها (٤/١٧٦١)، رقم: (٢٢٤٥).